

وعلى هذا الأساس أظن أنه قد وضح معنى الـدى الذي ينتهي إليه ربط الإسلام بين الدين والدولة. بمعنى أن يتعدى هذا الربط، ربط الأخلاقي بالسياسة، وبعبارة أُخرى، إن الإسلام لا يجرّد السياسة من المبدأ الخلقي بل يثبته فيها، لتكون أداة خير وعنصر سلام، لا وسيلة شر وفساد، كما أوصلها إليه الدبلوماسية الغربية، تحت وصاية تعاليم ميكيا فيلي^٣.

على أن يجب أن ننبه إلى أن هذا المبدأ ليس على إطلاقه، بل فيه فسحة، تجعل المبدأ السياسي في الإسلام على شئ كبير من المرونة مع المحافظة على أصوله وهذه المرونة تضيق وتوسع تبعاً لمصلحة المسلمين وخطط عدوهم.

ففي الحقل الدبلوماسي مثلاً وإن كان الدستور القرآني يوصي بحفظ العهود الدولية – (يأياها الذين آمنوا أو فوا بالعقود) (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً) – كأصل من أصول الدبلوماسية الإسلامية. إلا أننا نجدد يجيز فسخ العهود إذا بدا من الحليف ما يعد مخالفة لما تم الانفاق عليه (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين... وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله... إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً، ولم يظاهروا عليكم أحداً، فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم، إن الله يحب المتقين).

هذا في حالة المخالفة الظاهرة، أما في حالة المخالفة المستترة، والنقض المبيت فقد وضع مبدأ جواز الفسخ بمجرد توقع هذا النقض فقال: (وإنما تخافن من قوم خيانة، فانبذ إليهم على سواء) وقد قرر فقهاء المسلمين في مثل هذه الحال أنه لا بد من أن يعطي العدو مهلة كافية لبلوغ غلبة بهذا الفسخ ليتقي الغدر.

ونستطيع أن نقدر مرونة الدبلوماسية الإسلامية مع خضوعها إلى المبدأ الأخلاقي، في القاعدة التي وضعها الدستور القرآني في هذا الشأن وهو قوله: (فما استقاموا لكم، فاستقيموا لهم) أي أن علاقة المسلمين السياسية مع أعدائهم علاقة سياسية مرنة كل المرونة، تستهدف مصلحة المسلمين بالدرجة الأولى، دون